أثر اتفاق رسم الكلمات في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه - دراسة وصفية تطبيقية

The Impact of the Uniform Orthography of Words in the ʿUthmānic Codices on the Semantic Meanings of Qur'anic Vocabulary Through the Works on Qur'anic Meanings and Grammatical Analysis A Descriptive and Applied Study

عائشة بنت عبد الله الطواله

الأستاذ المشارك - قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

Aeshah Bint Abdullah Al-Twalah
Associate Professor of Quranic Readings - Department of Islamic Studies
College of Humanities and Social Sciences - Princess Nourah bint Abdulrahman University

https: //doi.org/10.47798/awuj.2025.i71.05

تاريخ تسلم البحث 2025/05/22 - وصدر خطاب القبول 2025/12/08

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

تبرز أهمية البحث في إبرازه القيمة العلمية لاتفاق رسم المصاحف العثمانية في رسم الكلمات القرآنية، والكشف عن أثر هذا الاتفاق في دلالات ألفاظ القرآن من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه، ومن هذا المنطلق هدف البحث إلى الكشف عن القيمة العلمية لما اتفقت المصاحف على رسمه، وبيان أثر هذا الاتفاق على دلالات الألفاظ، من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه، مع عرض نماذج تطبيقية. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي. وكان من نتائجه: يُعَدّ اتفاق المصاحف على رسم الكلمة القرآنية حُجّةً معتبرة في الترجيح بين الأقوال، وفي تقويم ما يَرِد من توجيهات للآية، كما ظهر أن كتب معاني القرآن وإعرابه تحكم على القراءة التي خالفت رسم المصحف، إما بزيادة كلمة أو نقصها، أو تبديل كلمة بأخرى، بالشذوذ، وتعدها من قبيل تفسير الآية.

الكلمات المفتاحية: الرسم، العثماني؛ المصاحف؛ أثر؛ كلمة؛ اتفاق.

Abstract

The study highlights the scholarly importance of the uniform orthography of Qur'anic words in the ʿUthmānic codices and its influence on the semantic interpretation of Qur'anic vocabulary. It aims to demonstrate the scientific value of standardized word forms and clarify how this agreement shapes lexical meanings, drawing on analytical examples from works on Maʿānī al-Qurʾān and Qur'anic parsing. Using a descriptive-analytical method, the study concludes that the consistent orthography of Qur'anic words provides a reliable basis for evaluating interpretive opinions and exegetical directions. It also shows that readings diverging from the codex orthography - through addition, omission, or substitution - are deemed anomalous and treated as interpretive explanations rather than canonical readings.

Keywords: Uthmānic ,orthography; codices; impact; word; agreement

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

إن القرآن الكريم هو معجزة نبينا محمد ﷺ الخالدة، والتي تكفل الله جل وعلا بحفظها سالمة من التغيير والتبديل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9].

ومصدقًا لوعد الله تعالى بحفظ كتابه، حرص المسلون منذ عهد الرسالة على حفظه في الصدور، وكتابته في الصحف، فلم يمت النبي ﷺ إلا وقد حُفظ في الصدور وكُتب.

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، تجلى حفظ القرآن الكريم بالإضافة لما سبق، بأمره بجمع القرآن على ما استقر في العرضة الأخيرة، ونسخ مصاحف متعددة وزعت على أمصار المسلمين؛ ليجمعهم على مصحف واحد. وقد وافقه الصحابة -رضوان الله عليهم- في ذلك، ومن هنا نشأ علم رسم المصحف.

وقد تميّز رسم المصاحف العثمانية بظواهر خاصة لفتت أنظار العلماء، فاعتنوا بدراستها، والكشف عنها، وألفوا فيها كتبًا مستقلة، أو مضمنة في تضاعيف كتب التفسير، وعلوم القرآن، تركز جانب كبير من هذه الدراسات على بيان كيفية توظيف العلماء لرسم المصحف في إيضاح دلالات الآيات التي اختلف رسمها في المصاحف العثمانية، أو التي وردت فيها قراءات متعددة.

غير أن الاستفادة من علم رسم المصحف ليست متوقفة عند حدود مواضع الاختلاف، بل تتجاوزه إلى ما اتفقت عليه المصاحف العثمانية من رسم كلمات القرآن، سواء وافق ذلك الرسم الإملائي أم خالفه. ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث؛ ليسلّط الضوء على هذا الجانب، سعيًا لإبراز أثر اتفاق رسم الكلمات في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية، وذلك من خلال دراسة تطبيقية في كتب معاني القرآن وإعرابه.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية البحث في إبرازه القيمة العلمية لاتفاق رسم المصاحف العثمانية في رسم الكلمات القرآنية، والكشف عن أثر هذا الاتفاق في دلالات ألفاظ القرآن الكريم من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه، والذي يدعم ما ذهب إليه العلماء من وجوب التزام رسم المصاحف العثمانية، وعدم كتابة المصحف بالخط الإملائي الحديث، بدعوى التيسير على الناس.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في أنّ رسم المصاحف العثمانية ليس مجرد كتابة آيات القرآن الكريم، وحروفه على ما استقر في العرضة الأخيرة، بل هو ضابط منهجيّ، وقرينةٌ علمية احتكم إليها العلماء عند بيان دلالة النصوص القرآنية، وتوجيه معانيها، وإعرابه. ورغم كثرة الدراسات التي تناولت رسم المصحف من حيث تاريخه، وقواعده، وما اختلف رسمه في المصاحف. فإن هناك حاجة لبيان القيمة العلمية لما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه من الكلمات القرآنية، وبيان أثر هذا الاتفاق على دلالات الألفاظ القرآنية. وعليه فإن إشكالية البحث تتمحور في الأسئلة الآتية:

- ما القيمة العلمية لما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه من الكلمات القرآنية؟
- ما أثر اتفاق رسم الكلمات في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية، من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه؟
- ما النماذج التطبيقية التي تُظهر أثر اتفاق رسم المصاحف العثمانية في توجيه دلالات الألفاظ القرآنية من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه؟

أهداف البحث:

- الكشف عن القيمة العلمية لما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه من الكلمات القرآنية.
- بيان أثر اتفاق رسم الكلمات في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية، من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه.
- عرض نماذج تطبيقية توضح القيمة العلمية لاتفاق مرسوم المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية، من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه.

حدود البحث:

يُعنى هذا البحث بدراسة (أثر اتفاق رسم الكلمات في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه، دراسة وصفية تطبيقية).

فخرج بذلك:

- ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية.
- ما اتفقت المصاحف على رسمه ولم يكن له أثر في دلالات الألفاظ القرآنية.
- الاقتصار على كتب معاني القرآن وإعرابه، ولا يتوسع في كتب التفسير أو كتب القراءات إلا عند الحاجة.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ الوصفيّ؛ لبيان المصطلحات الأساسية، وتتبع نشأة المصاحف العثمانية، وعلم المعاني وإعرابه. والتحليليّ؛ لكونه الأنسب في استنباط الأثر الذي يتركه اتفاق رسم في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

مقدمة: تضمنت أهمية البحث، وأهدافه، واشكاليته، ومنهجه، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث. المبحث الأول: مصطلحات أساسية في البحث. المبحث الثاني: نشأة المصاحف العثمانية بإيجاز. المبحث الثالث: علم معاني القرآن، نشأته، وأهم المؤلفات فيه. والمبحث الرابع: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية من خلال كتب معاني القرآن، وإعرابه، وتحته ستة مطالب: المطلب الأول: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في بيان دلالة الآية. المطلب الثاني: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في بيان المعنى الراجح من المرجوح. المطلب الثالث: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في استبعاد وجه لغوي، أو إعرابي جيد في الآية. المطلب الرابع: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في عدِّ القراءة الشاذة من قبيل التفسير. المطلب الخامس: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في الاختيار بين القراءات القرآنية. المطلب السادس: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في ردِّ القراءة القرآنية المتواترة، أو قبولها. وأخيرا الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي والسؤال وجدت الباحثة الدراسة الآتية:

- كتاب مطبوع، بعنوان (اختلاف الرسم القرآني، وأثره في الدلالة)، للباحث أ.مؤيد خلف،[1] وهذه الدراسة عُنيت ببيان بعض العلل التي ذكرها القائلون بتوقيف رسم المصحف الكريم، والتي تُفسّر خروج الرسم عن القواعد الإملائية والنحوية، بخلاف هذا البحث الذي يُعنى بدراسة أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية بشكل عام من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه، دون النظر في أسرار استنباط دلالات وحِكم، لاختلاف الرسم العثماني عن الرسم العادي.

- بحث محكم بعنوان (أثر اتفاق رسم المصاحف العثمانية واختلاف القراءات في التأصيل لقضايا فقهية معاصرة) للباحثة أسماء محمد عيسى، وهو بحث محكم منشور عام 2022م في مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية بكلية الآداب- جامعة كفر الشيخ، ع27.

ويتضح من عنوان البحث أن هناك ثمة اختلاف بينه وبين هذا البحث، حيث تنصب الدراسة على بيان أثر اتفاق رسم المصاحف العثمانية، واختلاف القراءات في التأصيل لقضايا فقهية معاصرة، من خلال تطبيقات على آيات الأحكام. بخلاف هذا البحث الذي يُعنى بدراسة أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية بشكل عام من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه، سواء وقع فيها اختلاف القراءات أم لا، وايراد تطبيقات من جميع آيات القرآن الكريم.

- بحث محكم بعنوان (رسم المصحف وأثره في التفسير) للدكتور علاء جاسم محمد، وهو بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية بجامعة تكريت، المجلد 3، العدد 9 (2011) ع9، ص162 - 184. ويهدف هذا البحث إلى إبراز تأثير الرسم العثماني في تفسير القرآن الكريم بذكر تعليل ظواهر الرسم العثماني للكلمة القرآنية، والتي هي (الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والوصل والفصل، وما فيه قراءتان)، والكشف عن الحِكم والأسرار البلاغية لرسمها. أما هذا البحث فهو يُعنى ببيان أثر ما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه من الكلمات القرآنية على دلالات الألفاظ القرآنية من خلال كتب معاني القرآن وإعرابه، دون تلمس الحكم، والأسرار البلاغية من الصورة التي رسمت عليها الكلمة القرآنية في المصاحف العثمانية.

1- طبعته دار اقرأ للطباعة والنشر.

المبحث الأول: مصطلحات أساسية في البحث

اشتمل البحث على مصطلحين أساسين، هما:

أولاً: مصطلح (رسم المصحف):

الرسم لغة: هو الأثر، أو بقية الأثر، أو ما ليس له شخص من الآثار. يقال: ناقة رسوم أي تؤثر في الأرض من شدة الوطء. ويقال ترسمت الدار، أي نظرت إلى رسومها، ويقال أيضا ثوب مرسم أي مخطط.[1]

وأما المصحف لغة: فهو مأخوذ من (صَحَف) الذي يدل على انبساط في شيء وسعة. والصحيفة هي التي يكتب فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأعلى: 18]

والمصحف هو: اسم للمكتوب فيه كلام اللّهّ تعالى بين الدّفّتين. قال الأزهري: «وإنما سمي المصحف مصحفا؛ لأنه أصحف أي جعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين»أ.هـ.[2]

وأما تعريفه اصطلاحا باعتباره اسم مركبا فقد عرف بتعريفات كثيرة، من أشهرها:

- تعريف الإمام المارغني (1349هـ) حيث قال: «هو علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي»أ.هـ.[3]
- وعرفه الزرقاني (1367هـ) بقوله: «الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان ﷺ في كتابة القرآن الكريم، وحروفه، على ما استقر في العرضة الأخيرة»أ.هـ.[4]

والأصل موافقة المكتوب للمنطوق، لكن الرسم العثماني جاءت فيه حروف كان

1- ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399هـ/1979م، 2/93. مادة(رسم)، محمد جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ. 12/241، مادة (رسم).

2- محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م. 4/149، وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (صحف)، 3/334. ابن منظور، لسان العرب، 9/186، مادة (صحف).

3- إبراهيم المارغني(1349هـ)، دليل الحيران على مورد الظمآن، دار الحديث، القاهرة، ط1، ص63.

4- ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني 1367 هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1/420.

رسمها مخالفا لمنطوقها. ولذا قُسم الرسم العثماني إلى قسمين:

القسم الأول: الرسم القياسي (الإملائي): وهو ما وافق المكتوب فيه المنطوق.

القسم الثاني: الرسم الاصطلاحي: وهو علم يُعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي.[1] وهو الذي ألفت فيه الكتب.

ويسمى أيضا بـ(الرسم العثماني) نسبة لعثمان بن عفان ﷺ، الذي أمر بنسخ القرآن وجمعه.[2]

ثانيًا: مصطلح (اتفاق رسم المصاحف):

يُراد بمفهوم (اتفاق رسم المصاحف) في هذا البحث هو: تطابق كتابة الكلمة القرآنية الواحدة في جميع المصاحف العثمانية، التي بعثها عثمان بن عفان ﷺ إلى البلاد الإسلامية.

ومما يجدر التنبيه عليه، أن ما اتفقت المصاحف على رسمه قسمين:

القسم الأول: ما اتفقت المصاحف على رسمه مما وافق الرسم القياسي (الإملائي)، فهذا القسم مما لم يتعرض له علماء الرسم، والقراءة إلا نادرا؛ لموافقته الرسم الاملائي المعروف.

القسم الثاني: ما اتفقت المصاحف على رسمه مما خالف الرسم القياسي (الإملائي)، فحكمه في هذه الحالة ما قاله الزمخشري: «وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان؛ لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف».[3]

وهذا القسم مما اهتم بدراسته علماء الرسم والقراءة وألفوا فيه الكتب، مثل كتاب (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق) لابن عامر (118هـ)، وكتاب (المقنع في رسم مصاحف الأمصار) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ)، وكتاب (المصاحف) وكتاب (مختصر التبيين لهجاء التنزيل) كلاهما لأبي داود سليمان بن نجاح الأندلسي (ت 496هـ) وغيرها كثير.

1- المارغني، دليل الحيران، ص63.
2- ينظر: المرجع نفسه.
3- ينظر: محمود بن عمر الزمخشري(538ه)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث، القاهرة، ط3، 1407هـ، 1/27.

المبحث الثاني: نشأة المصاحف العثمانية بإيجاز[1]

كان الصحابة ﷺ يقرءون القرآن بما أقرأهم رسول الله ﷺ، حتى زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، حيث وقع خلاف في غزوة أرمينية وأذربيجان بين قراء القرآن الكريم في القراءة؛ لاختلاف قراءة أهل كل مصر عن الآخر، تبعا لقراءة من أرسل إليهم من الصحابة ﷺ وعظم الأمر، حتى كاد يكفر بعضهم بعضا.

وكان حذيفة بن اليمان ﷺ شاهدًا على ما وقع بينهم من اختلاف في قراءة القرآن، فهاله الأمر، واشتد عليه، فقدم المدينة، وقال لعثمان ﷺ: «أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى»[2]. عند ذلك جمع عثمان ﷺ المهاجرين والأنصار، واستشارهم في جمع القرآن على حرف واحد؛ قطعًا للاختلاف، وحتى تتفق الكلمة، فاستصوبوا رأيه. يقول أبو عمرو الداني: «رأى هو ومن بالحضرة من الصحابة أن يجمع الناس على حرف واحد من تلك الأحرف، وأن يسقط ما سواه، فيكون ذلك مما يرتفع به الاختلاف ويوجب الاتفاق، إذ كانت الأمة لم تؤمر بحفظ الأحرف السبعة، وإنما خيرت في أيها شاءت لزمته واجزأها، كتخييرها في كفارة اليمين بالله بين الإطعام والكسوة والعتق، لا أن يجمع ذلك كله. فكذلك السبعة الأحرف».[3]

فأمر ﷺ بإحضار الصحف التي نسخت في عهد أبي بكر ﷺ، وكانت عند حفصة ﷺ،[4] وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ بنسخ المصاحف، وقال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم».[5] ففعلوا ما أمرهم به، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة ﷺ، وأرسل إلى كل مصر بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه أن يحرق.[6]

1- ينظر: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم(224ه)، فضائل القرآن، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1415ه/1995م، ص282، أبو عمرو عثمان الداني(444ه)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ت: محمد قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، ص123، أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي(665ه)، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، دار صادر، بيروت، ط1، 1395ه/1975م، ص68 وما بعدها.
2- ينظر: أبو عُبيد، فضائل القرآن، ص282. الداني، المقنع، ص 123.
3- الداني، المقنع، ص 123.
4- ينظر: أبو شامة المقدسي، المرشد الوجيز، ص68 وما بعدها.
5- ينظر: أبو عُبيد، فضائل القرآن، ص282.
6- ينظر: أبو عُبيد، فضائل القرآن، ص282، الداني، المقنع، ص123 وما بعدها، أبو شامة المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ص68 وما بعدها.

وكان غرض عثمان ﷺ من جمعه جمعُ الأمة على ما تواترت قراءته مما ثبت في العرضة الأخيرة، وترك ما عداه، قطعا للخلاف بينها. يقول النحاس: «قال عبد الله بن الزبير: قلت لعثمان: لم أثبت في المصحف ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة 240]، وقد نسختها ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة 234]؟. فقال: يا ابن أخي إني لا أغير شيئا عن مكانه. فبين عثمان ﷺ أنه إنما أثبت في المصحف ما أخذه عن النبي ﷺ، وأخذه النبي عليه السلام عن جبريل، على ذلك التأليف، لم يغير منه شيئا».[1]

ويقول الزركشي: «لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل».[2]

وأجمعت الأمة على تلقي عمل عثمان ﷺ بالقبول. يقول مصعب بن سعد: «أدركت الناس حين شقق عثمان ﷺ المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعب أحد».[3] وقد عُدّ جمع المصاحف من مناقب عثمان بن عفان ﷺ.

واختلف في عدد المصاحف التي بعثها عثمان ﷺ إلى الأمصار الإسلامية على أقوال:

1. أنها أربعة: أرسل مصحفا إلى البصرة، ومصحفا إلى الكوفة، ومصحفا إلى الشام، وأبقى مصحفا بالمدينة.
2. أنها خمسة: الأربعة السابقة، والخامس أرسله إلى مكة.
3. أنها ستة: الخمسة السابقة، والسادس أرسله إلى البحرين.
4. أنها سبعة: الستة السابقة، والسابع أرسله إلى اليمن.

1- أبو جعفر أحمد بن محمد النحّاس(ت 338ه)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1408ه، ص240.

2- الزركشي، بدر الدين محمد(ت 794ه). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ت 1401ه). دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1376ه، 1/235.

3- ينظر: أبو عُبيد، فضائل القرآن، ص284.

5. أنها ثمانية مصاحف: السبعة المتقدمة، والثامن مصحف الإمام، وهو الذي جُمع فيه القرآن أولا، ثم نسخت منه المصاحف.[1]

ومنذ ذلك الحين حرص المسلمون على المحافظة على رسم المصحف العثماني، وعدُّو موافقة القراءة لأحد رسم المصاحف العثمانية ولو احتمالا من شروط قبولها. كما ألّفوا الكتب في رسمه وهجائه، حتى نشأ علم يعرف بعلم (الرسم العثماني).[2]

المبحث الثالث: علم معاني القرآن، نشأته، وأهم المؤلفات فيه[3]

يُعَدّ علمُ معاني القرآن من أوائل العلوم اللغوية التي وُظِّفت لخدمة النص القرآني وبيان دلالاته، وقد نشأ هذا العلم على أيدي علماء العربية والنحو في القرن الثاني الهجري. ومما أسهم في ظهوره أمران:

الأمر الأول: اشتداد المنافسة العلمية بين مدرستي البصرة والكوفة، مما دفع العلماء في المدرستين إلى إبراز قدرتهم على تحليل النص القرآني، واستنباط وجوههُ اللغوية.

الأمر الثاني: اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية، ودخول أعداد كبيرة من الأعاجم في الإسلام، عندئذ برزت الحاجة الملحّة إلى تفسير غريب القرآن، وشرح تراكيبه، وبيان أوجهه الإعرابية والدلالية؛ ليكون ذلك عونًا على فهم كلام الله جل وعلا على وجهه الصحيح.

وقد نُسبت البدايات الأولى للتأليف في هذا العلم إلى أئمة كبار من أهل اللغة، منهم: يونس بن حبيب (ت 182هـ)، والكسائي (ت 189هـ)، وأبان بن تغلب (ت 141هـ). يقول الخطيب البغدادي: «وكذلك كتابه في معاني القرآن، وذلك أن أول من صنف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثم قطرب بن المستنير، ثم الأخفش. وصنف من الكوفيين الكسائي، ثم الفراء».[4]

1- ينظر: المارغني، دليل الحيران، ص 43.

2- ينظر: محمد بن محمد بن الجزري (ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى، بيروت، 1/11.

3- ينظر: الطيار، مساعد. أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم. دار ابن الجوزي، ط3، 1434هـ، ص55، الطيار، مساعد. التفسير اللغوي للقرآن الكريم. دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1432هـ، ص258. فرحات، أحمد حسن. معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، ص5.

4 -الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ). تاريخ بغداد. تحقيق: مصطفى عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، 12/403.

ولم يكن علم المعاني آنذاك منفصلاً عن علم الإعراب، حيث ضمن الإعراب في كتب معاني القرآن، فجاءت مؤلفات الأئمة مثل الفرّاء (ت 207هـ)، والأخفش الأوسط (ت 215هـ)، والزجاج (ت 311هـ) جامعةً بين بيان الغريب، والإعراب، والمعاني، والقراءات في كتاب واحد.

وقد بلغ هذا العلم مرحلة النضج، والتمييز المنهجي على يد الإمام أبي جعفر النحاس (ت 338هـ)، الذي يُعَدّ أول من فصل بين علم المعاني وعلم الإعراب، فخصّص كتابًا في معاني القرآن، تناول فيه الجوانب البيانية والتفسيرية، ومسائل الناسخ والمنسوخ. وخصص كتابًا آخر في الإعراب، ضمنه العلل النحوية الدقيقة، واختلاف المذاهب، ومسائل اللغات. وتوالت المؤلفات بعد ذلك في العلمين.

ومن أبرز المؤلفات المتقدمة في علم معاني القرآن:

- معاني القرآن للفرّاء (ت 207هـ).
- معاني القرآن للأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت 215هـ).
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (ت 311هـ).
- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (ت 338هـ).
- إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري (ت نحو 553هـ).
- وبعد أن رسّخ الإمام النحاس منهج الفصل بين المعاني والإعراب، اتسع نطاق التأليف في إعراب القرآن، وظهرت مصنفات مستقلة تُعنى بتحليل التراكيب القرآنية وبيان عللها النحوية، ومن أشهرها:
- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت 338هـ).
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ).
- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (ت 616هـ).
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني (ت 643هـ).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت 756هـ).

وقد أسهمت هذه المصنفات في ترسيخ علم الإعراب بوصفه علمًا مستقلًا، له أدواته ومناهجه، وأصبح مرجعًا لا غنى عنه للباحثين في علوم القرآن واللغة.[1]

المبحث الرابع: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية على دلالات الألفاظ القرآنية من خلال كتب معاني القرآن، وإعرابه.

وظفت كتب معاني القرآن، وإعرابه اتفاق مرسوم المصاحف العثمانية في بيان دلالات الألفاظ القرآنية، فاعتمدته كقرينة يستدل بها على معنى الآية، شريطة أن يكون لاتفاق المصاحف أثر في دلالة الآية، إما ببيان معناها، أو بيان وجهها اللغوي، أو ترجيح قول على آخر، أو دحضه، أو إزالة لبس أو إشكال عنها أو غير ذلك من أنواع البيان؛ فاتفاق رسم المصاحف في هذه الحالة يُعدّ ذا قيمة كبيرة، ووسيلة يستعان بها، ويسترشد عند بيان دلالة ألفاظ النص القرآني.

أما ما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه، وليس له أثر في بيان دلالة الآية، مثل كتابة كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰة﴾﴿ ٱلرِّبَوٰا﴾﴿ ٱلحَيَوٰةَ﴾، بواو بدلا من الألف، فهذا لم تتعرض له كتب معاني القرآن، وإعرابه إلا نادرًا.

وبناء على ما سبق نستطيع القول أنّ:

- يُعدّ اتفاق مرسوم المصاحف عند علماء معاني القرآن، وإعرابه أضيق نطاقًا من أئمة الرسم والقراءة، من جهة أن ليس كل ما اتفقت المصاحف على رسمه يُعد مؤثرًا في دلالة الآية.

- يُعدّ اتفاق مرسوم المصاحف عند علماء معاني القرآن، وإعرابه أوسع نطاقًا من أئمة الرسم والقراءة، من جهة أن اتفاق مرسوم المصاحف المؤثر في دلالة الآية، قد يكون موافقا لرسم الاصطلاحي (العثماني)، أو موافقا لرسم القياسي(الإملائي)، بخلاف أئمة الرسم والقراءة الذي ينصب اهتمامهم على دراسة الرسم الاصطلاحي.

ويمكن إجمال أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية، على دلالات الألفاظ القرآنية من خلال كتب معاني القرآن، وإعرابه، بالآتي:

1- ينظر: الطيار، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، ص55، الطيار، التفسير اللغوي، ص258. فرحات، أحمد حسن. معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)، ص5.

المطلب الأول: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في بيان دلالة الآية.

يتضح أثر اتفاق رسم المصاحف العثمانية في تحديد بيان دلالة الآية، من خلال القاعدة التفسيرية (الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له).[1] ومن هذا المنطلق اهتمت كتب معاني القرآن، وإعرابه بالاحتجاج بما اتفقت المصاحف العثمانية على رسمه في بيان دلالة الألفاظ القرآنية، وجعلوه قرينة يُستدل بها على ذلك.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

ما ذكروه عند بيان معنى كلمتي ﴿كَالُوهُمْ﴾ و﴿وَزَنُوهُمْ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3]. فقد اتفقت المصاحف العثمانية على رسمهما في المصاحف بغير ألف بعد الواو، يقول سليمان بن نجاح: «وكتبوا في جميع المصاحف ﴿كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ بغير ألف بعد الواو، في الكلمتين، ومعناه: كالوا لهم، أو وزنوا لهم، فحذفت اللام، وأوقع الفعل على (هم) وصار حرفا واحدا».[2]

وأوردت كتب معاني القرآن، وإعرابه في معنى الفعلين قولين، هما:

القول الأول: أن (هم) في الفعلين ضمير نصب متصل، فيكون مفعولا به، ويعود على الناس، والأصل في هذين الفعلين التعدي لاثنين. والمعنى: كالوا الناس، أو وزنوا لهم.[3] وعلى هذا يكون الوقف على الميم في الفعلين؛ لأنهما حرف واحد.[4]

1- ينظر: حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، دار القاسم، السعودية، ط1، 1429هـ/2008م، 1/77.

2- أبو داود سليمان بن نجاح الأموي (ت 496هـ)، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1423هـ/2002م، 5/1278.

3- ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت 209هـ)، مجاز القرآن، تحقيق: فؤاد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ، 2/289، أبو الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ/1990م، 2/572، إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ/1988م، 3/1276، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي البجاوي (ت 1399هـ)، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 2/1276.

4- ينظر: محمد بن القاسم أبو بكر الأنباري (ت 271هـ)، إيضاح الوقف والابتداء، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1390هـ، 1/347.

القول الثاني: أن (هم) في الفعلين ضمير منفصل، فتكون توكيدا. وبالتالي يجوز الوقف على (كالوا) و(وزنوا) والابتداء بالضمير (هم).[1]

وأجمع الأئمة كأبي عبيدة، والفراء، والنحاس، والزجاج، والسمين الحلبي وغيرهم، على القول الأول؛ لموافقته مرسوم المصاحف الذي رسمت به كلمتي (كَالُوهُمْ) و (وَزَنُوهُمْ) بدون ألف بعد الواو في الفعلين، وأعرض كثير منهم عن ذكر القول الثاني. ومن ذكره نبه على ضعفه. يقول النحاس: «والصواب أن الهاء والميم في موضع نصب، لأنه في السواد بغير ألف».[2]

وأيّد الهمداني القول الأول، ورأى أنه الأليقُ بمعنى الآية، فقال ما نصه: «فإن الضمير لو كان مرفوعا مؤكدا؛ لوجب أن يكون في الإمام مصحف عثمان -رضي الله عنه- بعد الواو ألف مشيا على أصلهم، ولا ألف فيه».[3] ويقول السمين الحلبي: «ورجّحَ الأول سقوط الألف بعد الواو، ولأنه دال على اتصال الضمير».[4]

ومن الأمثلة أيضا: كلمة (شَيخًا) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود 72].

فقد اتفقت المصاحف العثمانية على رسم (شيخا) بالألف، وانتصب (شيخا) على الحال من المشار إليه، وهو (بعلي)، وبعلُها معروفًا عند من وجَّهت إليهم الخطاب، ولذلك جاز وقوع الحال منه.[5] أما لو لم يكن معروفًا عند من وجَّهت إليهم الخطاب، فلا يجوز وقوعه حال. ويكون معنى الآية: انظر إلى زوجي في حال شيخه؛ تنبيهًا على حاله.[6]

يقول الهمداني: «وقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعلِى شَيخًا﴾، انتصاب قوله ﴿شَيخًا﴾ على الحال من

1- ينظر: الزجاج، معاني القرآن، 5/297. أبو جعفر النحّاس أحمد النحوي (ت 338هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه: عبد المنعم إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ. 5/108.
2- النحّاس، إعراب القرآن، 2/110.
3- المنتجب الهمذاني (ت 643هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق: نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ/2006م. 6/357.
4- شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، 15/717.
5- المنتجب الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن، 2/649.
6- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف(ت 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، 6/184، السمين الحلبي، الدر المصون، 9/641.

المشار إليه، وهو ﴿بَعلِى﴾، والعامل فيها ما في ﴿وَهَٰذَا﴾ من معنى الفعل، وهو التنبيه أو الإشارة. وبعلها معروف عند من أشارت إليه، ولذلك جاز وقوع الحال منه، ولو كان غير معروف لما جاز وقوع الحال منه؛ لأنه إذا كان غير معروف عند من أشارت إليه، لم يكن بعلها إلا في حال الشيخوخة، فإذا زالت عنه الشيخوخة لم يكن بعلها... والجمهور على نصبه، وهو الوجه، لأجل الإمام مصحف عثمان -رضي الله عنه-؛ لأنه بالألف فيه».[1]

ويقول الزجاج: «القراءة النصب. وكذلك هي في المصحف المجمع عليه، وهو منصوب على الحال، والحال ههنا نصبها من لطيف النحو وغامضه. ذلك أنك إذا قلت» هذا زيد قائما، فإن كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيدا أنه زيد، لم يجز أن تقول: هذا زيد قائما، لأنه يكون زيدا ما دام قائما، فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول ذاك للذي يعرف زيدا: هذا زيد قائما. فيعمل في الحال التنبيه، والمعنى: انتبه لزيد في حال قيامه. وأشير لك إلى زيد حال قيامه، لأن «هذا» إشارة إلى ما حضر، فالنصب الوجه».[2] وبذلك يتبيّن أن رسم ﴿شَيخًا﴾ بالألف في جميع المصاحف العثمانية، كان قرينةً أوضحت معناها.

مما سبق يتضح أن اتفاق رسم المصاحفِ العثمانية في رسم الكلماتِ القرآنية ليس مجرّد اصطلاحٍ خطّي، بل هو قرينةٌ معتبرةٌ، يُستند إليها أحيانا في بيان المعنى الذي تدلّ عليه الآية.

المطلب الثاني: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في بيان المعنى الراجح من المرجوح.

يُعد الترجيح بين الأقوال الواردة المتعارضة في الآية من أهم ما يسعى إليه علماء المعاني، والتفسير، ويتطلب ذلك الاستناد إلى أصول وقرائن علمية صحيحة. يقول الشيخ صالح آل الشيخ: «اختلاف التضاد، هذا هو الذي يرجح الصواب فيه-يقصد بين الأقوال-، بناء على براهين، وأدلة في ذلك، لكل مقام ما يناسبه».[3] ويُعد اتفاق مرسوم المصاحف العثمانية أحد أبرز هذه القرائن التي يُعتمد عليها. ويُعد هذا من التفسير بالرأي المحمود.

1- المنتجب الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن، 2/649.
2- الزجاج، معاني القرآن، ص63. وينظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 2/707، أبو جعفر النحّاس، إعراب القرآن 2/177.
3- صالح آل الشيخ، شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، المكتبة الشاملة، دروس مفرَّغة، الدرس 12، ص13.

ومن الأمثلة على ذلك:

كلمة (أَمر) في قوله تعالى ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر 4]. فقد اتفقت المصاحف على رسمها هكذا (أَمر) بدون ياء بعد الراء.

وأوردت كتب معاني القرآن، وإعرابه وجهين في معنى الآية. هما:

الوجه الأول: تَنْزلُ الملائكة، والروح في ليلة القدر بأمر ربهم الذي يقضيه، من الآجال والأرزاق إلى السماء الدنيا.[1]

الوجه الثاني: ينزلُ جبريل-عليه السلام- فيها مع الملائكة، فيسلمون على كل امرئ مسلم. وهو مروي عن الكلبي. وهذا المعنى متسق مع قراءة ابن عباس (من كل امرئ سلام).[2]

ورُجح القول الأول، واستبعد قول الكلبي في معنى الآية، وجُعل قولا مرجوحا؛ لأنّه اعتمد على قراءةٍ خالفت ما اتفقت عليه المصاحف العثمانية من رسم الكلمة بلا ياء.

يقول النحاس: «حكى أبو عبيد أنه روي عن ابن عباس، وعكرمة أنهما قرءا (من كل امرئ). قال إسماعيل بن إسحاق: لم يذكر أبو عبيد إسناده، ولعله ضعيف. قال أبو جعفر: إسناده ضعيف بغير (لعل)، رواها الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد لا يعرج عليه، وهو مخالف للمصحف الذي تقوم به الحجة».[3]

ومن الأمثلة أيضا كلمة (الظالمين) في قوله تعالى: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإنسان 31] حيث رسمت (وَٱلظَّٰلِمِينَ) بالياء باتفاق المصاحف العثمانية.

1- ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، 2/305، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، 3/280، الزجاج، معاني القرآن، 5/347، النحّاس، إعراب القرآن، 5/166، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 10/506. أبو حفص عمر بن عادل الدمشقي (ت بعد 880هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق وتعليق: أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1419هـ، 20/429.

2- ينظر: المراجع السابقة.

3- النحّاس، إعراب القرآن، 5/166.

وأوردت كتب معاني القرآن، وإعرابه في معنى الآية قولين، هما:

القول الأول: أن الله تعالى يدخل من يشاء في رحمته، ويعذبُ الظَّالِمين، أعدَّ لهم عذابا أليما. فيكون (أَعَدَّ لَهُمْ) تفسيرًا لهذا المضمر.[1]

القول الثاني: رفع (وَٱلظَّالِمونَ) على أنها مبتدأ، وخبره ما بعده. اعتمادا على قراءة ابن الزبير وأبان بن عثمان «والظالمون»[2] بالرفع. وهو وجهٌ حسن وجائز، كما وصفه أبو حيان.[3]

ورُجح القول الأول؛ لموافقته مرسوم جميع المصاحف العثمانية. يقول الزجاج: «وقرئت (والظالمون) ولا أرى القراءة بها، من وجهين: أحدهما خلاف المصحف. والآخر: إن كانت تجوز في العربية على أن يرفع (الظالمين) بالابتداء، والذي بعد (الظالمين) خبر الابتداء، فإن الاختيار عند النحويين البصريين النصب، يقول النحويون: أعطيت زيدا وعمرا، أعددت له برا. فيختارون النصب، على معنى: وبررت عمرا وأبر عمرا، أعددت له برا. فلا يختارون للقرآن إلا أجود الوجوه، وهذا مع موافقة المصحف».[4]

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ [الصافات 130].

اتفقت المصاحف العثمانية على كتابة (إل ياسين) مفصولة، واختلف القرّاء العشرة في قراءتها؛ فقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: (آلَ ياسين) بفتح الهمزة والمد، وقطع اللام من الياء، وقرأ بقية القرّاء العشرة بكسر الهمزة، وإسكان اللام بعدها، ووصلها بالياء كلمةً واحدة في الحالين.[5]

وقد ذكرت كتبُ معاني القرآن وإعرابه أن المراد بقراءة نافع ومن وافقه: ولدُ ياسين وأتباعه المؤمنون، وذكر بعضهم أن ياسين هو إلياس، فيكون للنبي اسمان[6].

1- ينظر: الفراء، معاني القرآن، 3/320.
2- وهي قراءة شاذة. ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، 2/344.
3- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 10/ 370.
4- الزجاج، معاني القرآن، 5/264.
5- ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/360.
6- ينظر: الفراء، معاني القرآن، 2/391. الزجاج، معاني القرآن، 4/312. السمين الحلبي، الدر المصون، 9/328. المنتجب الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن، 5/396. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 16/341.

وعدَّ النحاس قول من ذهب إلى أن للنبي اسمين قولًا مرجوحًا؛ لأنه يخالف خط المصاحف المتفق عليه. يقول في ذلك: «والقول بأن اسمه (الياس) و(الياسين) يحتاج إلى دليل ورواية، فقد وقع في الأمر إشكال، كان الأولى اتباع الخط الذي في المصحف، وفي المصحف «سلام على آل ياسين» بالانفصال، فهذا ما لا إشكال فيه».[1]

المطلب الثالث: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في استبعاد وجه لغوي، أو إعرابي جيد في الآية.

في حال ورد أكثر من وجه إعرابي أو لغوي صحيح في الآية، وكان أحد هذه الوجوه يتعارض مع مرسوم خط المصاحف المتفق عليه، ففي هذه الحالة يكون الوجه المقبول هو الموافق لما اتفقت المصاحف على رسمه، ويُستبعد المعنى أو الوجه الإعرابي الذي يخالف هذا الرسم، وإن كان متجهًا وصحيحًا من حيث العربية؛ لمخالفته رسم المصحف، يقول الزجاج: «ولكن النون تحذف استخفافا، ولا يجوز في القرآن إثباتها؛ لأنه خلاف المصحف، ولا يجوز أن يقع شيء في المصحف مجمع عليه فيخالف، لأن اتباع المصحف أصل تباع السنة».[2] مما يجعل رسم المصحف معياراً ضابطاً لحدود الدلالة في الآية.

ومن الأمثلة على ذلك:

كلمة (أجمعين) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [البقرة 161]، حيث اتفقت المصاحف العثمانية على رسمها بالياء.

وأوردت كتب معاني القرآن، وإعرابه في معناها قولين، هما:

القول الأول: أن (الملائكة)، و(الناس) في موضع جر، عطفا على لفظ اسم الجلالة (الله)، و(أجمعين) تأكيد. والمعنى: عليهم لعنة الله، ولعنة الملائكة، ولعنة الناس.

القول الثاني: أن (الملائكة) (والناس) في موضع رفع؛ عطفا على محل اسم الجلالة، لأنه فاعل في التقدير. فيكون المعنى: أولئك عليهم أن لعنهم اللّهُ، والملائكةُ، والناسُ أجمعون. ويؤيده قراءة الحسن في الآية [لعنة الله والملائكة والناس أجمعون]، وهو وجهٌ جائز في العربية، يقول الفراء: «وقرأها الحسن (لعنة اللّهُ والملائكةُ والناسُ أجمعون)، وهو

1- النحّاس، إعراب القرآن، 3/295.
2- الزجاج، معاني القرآن، 1/127.

جائز في العربية، وإن كان مخالفًا للكتاب».[1]

واستبعد الزجاج القول الثاني، رغم أنه صحيح المعنى والإعراب، محتجا بمخالفته مرسوم ما اتفقت المصاحف العثمانية، وهو (أجمعين) بالياء. يقول في ذلك: «وقرأ الحسن (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعون)، وهو جيد في العربية، إلا أني أكرهه؛ لمخالفته المصحف. والقراءة إنما ينبغي أن يلزم فيها السنة، ولزوم السنة فيها أيضا أقوى عند أهل العربية، لأن الإجماع في القراءة إنما يقع على الشيء الجيد البالغ».[2]

ومن الأمثلة أيضا كلمتي (تَبيَضُّ) و(تَسوَدُّ) في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران 106]، فقد اتفقت المصاحف العثمانية رسم الفعلين: (تَبيَضُّ) و(تَسوَدُّ) بغير ألف بعد الياء والواو.

وقد ورد في كتب معاني القرآن، وإعرابه وجهان في تفسير الآية، بناءً على القراءات القرآنية الواردة فيها:

الوجه الأول: وهو على القراءة المتواترة، أن معنى (تبيض) إشراق الوجوه وإسفارها؛ لما تصير إليه من ثواب الله جلّ وعلا، ورحمته. ومعنى (تسود) أي اسوداد الوجوه بما يصير إليه أصحابها من عذاب الله تعالى، وغضبه.

الوجه الثاني: وهو على القراءة المروية عن الحسن، والزهري، وابن محيصن: (تبياض) و(تسواد) بالألف، إذ إن الوصف بالبياض والسواد أبلغ، وأدل على اتصاف الشيء بهما من مجرد الفعل أبيض وأسود.[3]

ومع أن الوجه الثاني حسنٌ من جهة العربية، إلا أنه مُستبعَد؛ لأنه مبنيٌّ على قراءة تخالف ما اتفقت المصاحف على رسمه، من خلة الفعلين من الألف. يقول الزجاج: «قرأ بعضهم (تسواد وتبياض)، وهو جيد في العربية، إلا أن المصحف ليست فيه ألف. فأنا أكرهها؛ لخلافه. على أنه قد تحذف ألفات في القرآن، نحو: ألف (إبراهيم وإسماعيل)، ونحو: ألف (الرحمن)؛ ولكن الإجماع على إثبات هذه الألفات المحذوفة في الكتاب في اللفظ،

1- الفراء، معاني القرآن، 1/96.
2- الزجاج، معاني القرآن، 1/236، وينظر أيضا: النحّاس، إعراب القرآن، 1/87.
3- ينظر: النحّاس، إعراب القرآن، 1/456، المنتجب الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن، 2/107، السمين الحلبي، الدر المصون، 3/340.

و(تبيض وتسود) إجماع بغير ألف، فلا ينبغي أن يقرأ بإثبات الألف».[1]

ومن الأمثلة كلمة (لَّٰكِنَّا) في قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف 38]>

بعد أن وجّه الزجاج القراءات الواردة في الآية، قال: «فهذا جميع ما يحتمله هذا الحرف. والجيد البالغ ما في مصحف أُبيّ بن كعب. ولم نذكره في هذه القراءات؛ لمخالفته المصحف، وهو (لكن أنا هو الله ربي)».[2] فبيّن -رحمه الله- أن سبب إعراضه عن ذكر قراءة أُبيّ -رغم جودتها من جهة العربية- هو مخالفتها لما اتفقت عليه المصاحف العثمانية.

تبيّن من خلال الأمثلة السابقة أن اتفاق رسم المصاحف العثمانية ليس كتابه، بل هو قرينة اعتمد عليها العلماء -كالزجّاج والنحاس وغيرهما- في استبعاد المعاني أو الأوجه اللغوية، وإن كانت صحيحةً من جهة العربية، لمخالفتها ما استقر عليه رسم المصحف.

المطلب الرابع: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في عد القراءة الشاذة من قبيل التفسير.

يُعدّ إجماع الصحابة -رضوان الله عليهم- على المصاحف التي نسخها عثمان -رضى الله عنه- إجماعا ذو قيمة كبيرة؛ لأنه بمثابة إجماع على أن ما كتب في المصاحف هو القرآن الكريم، الذي نزل على النبي ﷺ، واستقرت عليه العرضة الأخير؛ ولذا اعتبر الرسم العثماني معيارًا أساسيًا في قبول القراءات القرآنية، وركنا من أركان القراءة المقبولة،[3] فما وافق

1- الزجاج، معاني القرآن، 1/454.
2- الزجاج، معاني القرآن، 3/287.
3- لعل من المناسب ذكر أركان القراءة المقبولة الثلاثة وهي:
التواتر: وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، من غير تعيين عدد على الصحيح. ولو كانت عمن فوق السبعة أو العشرة من القراءة المشهورين.
موافقة اللغة العربية، ولو بوجه، سواء أكان الوجه فصيحًا أم أفصح، لأن القراءة سُنَّة متبعة يلزم المصير إليها وقبولها.
موافقة رسم المصاحف العثمانية، ولو احتمالا: فالقراءة إما أن توافق رسم المصحف موافقة صريحة، أو توافق رسم المصحف احتمالا، كقوله تعالى: (وَمَايَخْدَعُون)[البقرة: 9] فقد كتبت كلمة (يَخْدَعُون) بدون ألف في جميع المصاحف، فمن قرأها بحذف الألف وافقت قراءته رسم المصحف موافقة صريحة، ومن قرأ بإثبات ألف بعد الخاء(يَخَادَعُون) وافقت قراءته رسم المصحف احتمالا.
ينظر: الداني، المقنع، 17. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 11.1/9- علي بن محمد الصفاقسي، غيث النفع في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 6.

الرسم العثماني ولو احتمالا يُقبل، وما خالفه يُرد، ويطلق عليه الشاذ.[1]

ومع ردهم لها كقراءة، إلا أنهم قبلوها كتفسير للآية، وموضحة لدلالتها إذا صحت، وكانت مخالفتها للرسم العثماني باشتمالها على زيادة كلمة، أو استبدال كلمة بأخرى، أو تغيير في ترتيب الآية. يقول أبو عبيد: «فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك، فكيف إذا روي عن لباب أصحاب محمد ﷺ، ثم صار في نفس القراءة؟ فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى، وأدنى ما يستنبط من علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل. على أنها من العلم الذي لا تعرف العامة فضله. إنما يعرف ذلك العلماء».[2]

ومن الأمثلة التي وردت في كتب معاني القرآن، وإعرابه، وتوضح ذلك:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ 14].

فقد اتفقت المصاحف على كتابتها ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾. ورُوي أن ابن مسعود وابن عباس ﷺ قرآها: (تبينت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب)،[3] بإضافة (الأنس) وتقديم وتأخير في الآية. وهي قراءة شاذة؛ لمخالفتها ما اتفقت عليه المصاحف، لكنها استُعملت لبيان معنى الآية. يقول الهمذاني: «وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: (تبينت الإنس أن الجن لو كانوا). وبه استدل بعضهم على قراءة الجمهور. وأن المعنى، والتقدير: تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين».[4]

ومن الأمثلة أيضا: كلمة ﴿وَأَرِنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة 128].

اتفقت جميع المصاحف العثمانية على كتابة الفعل (أرنا). ورُوي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قرأ (وأرهم) بدلا من (أرنا). وهي قراءة شاذة.[5] وعُدت هذه القراءة موضحة لمعنى الآية. يقول الفراء ما نصه: «﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، وفي قراءة عبد الله (وأرهم مناسكهم)،

1- ينظر المراجع السابقة.
2- أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (ت 224هـ)، فضائل القرآن، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1415هـ، ص325.
3- ينظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، 2/232.
4- المنتجب الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن، 5/286. وينظر: الفراء، معاني القرآن، 2/357. النحّاس، إعراب القرآن، 5/405. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 16/35.
5- ينظر: الفراء، معاني القرآن، 1/31.

فجمع قبل أن تكون ذريته. فهذا ومثله في الكلام مما تتبين به المعنى، أن تقول للرجل: قد تزوجت وولد لك، فكثرتم وعززتم».[1]

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المؤمنون 73].

فقد اتفقت المصاحف على رسمها (لَتَدعُوهُم)، ورُوي أن أُبيّ بن كعب ڤ قرأ: (وإنك لتدعو إلى صراط مستقيم) بحذف (هم) من الفعل (تدعو). وهي قراءة شاذة؛ لمخالفتها ما اتفقت عليه المصاحف في الرسم، لكنها حُملت على أنها مبينة لمعنى الآية. يقول النحاس معلقا عليها بعد إيرادها: «وهذا لا يقرأ به؛ لأنه مخالف للسواد. وإنما يحمل ما كان مثله على أنه من قائله على جهة التفسير».[2]

ويقول النحاس أيضا عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة 7] ما نصه: «وحكى أبو حاتم: أن في حرف عبد الله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا انتجوا)، قال أبو جعفر: وهذه القراءة إن صحت فإنما هي على التفسير، لا يجوز أن يقرأ بها إلا على ذلك».[3]

ومن خلال الأمثلة السابقة يتبيّن أن الاعتماد على ما استقرّ في رسم المصاحف العثمانية أمرٌ واجب، وأن ما خالفه من القراءات الشاذة -وإن صحّ نقلها- فإنما يُستفاد منها في باب التفسير والبيان.

المطلب الخامس: المطلب الخامس: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في الاختيار بين القراءات القرآنية.

أولا: مفهوم الاختيار في القراءة:

يقول الشيخ طاهر الجزائري: «الاختيار عند أقوام، أن يعمد من كان أهلا له إلى القراءات المروية، فيختار ما هو الراجح عنده، ويجرد من ذلك طريقا في القراءة على حدة».[4]

1- المرجع نفسه.
2- النحّاس، إعراب القرآن، 2/329.
3- النحّاس، إعراب القرآن، 4/250
4- طاهر الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط3، 1412هـ، ص90.

وقال الجنابي أن المراد بالاختيار هو: «أن يأخذ القارئ من مجموع القراءات التي رواها حروفا يُفضلها لسبب يذكره، أو لا يذكره، قد يكون حرف منها من قراءة، في حين يكون الحرف الأخر من قراءة أخرى، وهكذا إلى آخر القرآن الكريم».[1]

ولا بأس به مالم يؤدِّ إلى ردّ قراءة متواترة، ولذلك نبّه الشيخ طاهر الجزائري إلى خطورة المبالغة في الترجيح بين القراءات الثابتة، حتى يكاد ذلك يُسقط القراءة الأخرى، يقول في ذلك: «وهنا شيء ينبغي التنبيه عليه، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين الثابتتين على الأخرى، ترجيحا يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهو غير مرضي. وقال أبو شامة: «قد أكثر المصنفون في القراءات، والتفسير من الترجيح بين قراءة ﴿مَٰلِكِ﴾و﴿مَلِك﴾، حتى إن بعضهم يُبالغ إلى حد يسقط وجه القراءة الأخرى».[2]

ومن أهم المعايير التي تدفع إلى اختيار قراءة دون أخرى، هو موافقتها لما أجمعت المصاحف العثمانية على رسمه. يقول الفراء: «اتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب، وقراءة القراء أحب إلي من خلافه».[3]

ومن الأمثلة التي توضح ذلك:

كلمة (فَرِهَٰن) في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة 283] حيث اتفق المصاحف على رسمها بغير ألف. واختلف القراء العشرة فيقراءتها: فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بضم الراء والهاء، من غير ألف(فَرُهُن). وقرأ الباقون بكسر الراء، وفتح الهاء، وألف بعدها(فَرِهَٰن).[4]

واختيار الزجاج قراءة ابن كثير ومن وافقه؛ معللا اختياره بموافقتها لما اتفقت عليه المصاحف. يقول في ذلك: «والقراءة على (رُهُن) أعجب إلي؛ لأنها موافقة للمصحف. وما وافق المصحف، وصح معناه، وقرأتْ به القراء، فهو المختار».[5]

1- ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين للأندرابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ، ص29.
2- طاهرالجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ص153.
3- الفراء، معاني القرآن، 2/293.
4- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/273.
5- الزجاج، معاني القرآن، 1/367 وينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 2/679.

ومن الأمثلة أيضا كلمة ﴿اتَّبَعَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران 20].

فقد اتفقت المصاحف العثمانية على رسم ﴿اتَّبَعَنِ﴾ بدون ياء. واختلف القراء العشرة في قراءتها: فقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو بإثباتها في الوصل، وحذفها في الوقف. وقرأ يعقوب بإثبات الياء في الوصل والوقف. وقرأ الباقون بحذفها في الحالين.[1]

واختار الزجّاجُ قراءة حذف الياء، معلّلا اختياره بوجوب اتباع ما اتفقت عليه المصاحف العثمانية في رسمها، يقول الزجاج: «(ومن اتبعن) لك حذف الياء وإثباتها، والأحب إلي في هذا اتباع المصحف؛ لأن اتباعه سنة، ومخالفته بدعة».[2]

ومن الأمثلة كلمة (يأت) في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود 105]، حيث اتفقت المصاحف العثمانية على رسمها بحذف الياء. واختلف القراء قراءتها: فقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء وصلا. وقرأ ابن كثير، ويعقوب بأثبتها في الحالين. وقرأها الباقون بالحذف.[3]

وجوّد الزجاج قراءة حذف الياء؛ لموافقتها مرسوم المصاحف العثمانية، يقول في ذلك: «والأجود في النحو إثبات الياء. والذي أراه اتباع المصحف مع إجماع القراء، لأن القراءة سنة».[4]

المطلب السادس: أثر اتفاق مرسوم الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية في رد القراءة القرآنية المتواترة، أو قبولها.

قد تُرَدُّ أحيانًا بعضُ القراءات القرآنية المتواترة بسبب مخالفتها ما اتفقت عليه المصاحف العثمانية من الرسم، وهو قليل جدا. وردّ القراءة المتواترة لهذا السبب غيرُ مقبولٍ مطلقًا؛ لأن القراءة المتواترة ثبتت بنقل العدول الضابطين، فلا يُعارِض تواترَها شيءٌ من ذلك، بل تُقدَّم، ويجب الأخذ بها. يقول أبو عمرو الداني: «وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت من

1- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/247.
2- الزجاج، معاني القرآن، 5/321.
3- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/292.
4- الزجاج، معاني القرآن، 3/77.

الأثر، والأصح في النقل، وإذا ثبت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها».[1]

ومن الأمثلة التي وردت في كتب معاني القرآن، وإعرابه:

كلمة ﴿لِفِتۡيَٰنِهِۦ﴾ في قوله جل وعلا: ﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [يوسف 62]، والتي اتفقت المصاحف العثمانية على رسمها بدون ألف.

واختلف القراء العشرة في قراءتها: فقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص(لِفِتيَتِهِ) بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها، وقرأ بقية القراء العشرة بتاء مكسورة، بعد الياء من غير ألف (لِفتْيتِه). وهما قراءتان متواترتان.[2]

وقد ردَّ النحاس قراءة حمزة ومن وافقه من القراء؛ محتجا بمخالفتها رسم المصاحف، يقول النحاس: «وقرأ سائر الكوفيين (وَقَالَ لِفِتيَتِهِ)؛ وهو اختيار أبي عبيد؛ لأنه روى عن هشام عن مغيرة قال: في مصحف عبد الله (وَقَالَ لِفِتيَتِه). قال أبو جعفر[3]: وهذا مخالف للسواد الأعظم؛ لأنه في السواد لا ألف فيه، ولا نون. فلا يترك السواد المجتمع عليه لهذا الإسناد المنقطع..».[4]

وما احتجّ به النحاس صحيح، إذ لا يصحّ مخالفة مرسوم المصاحف العثمانية المتفق عليه. غير أن علماء القراءات قد بيّنوا حدَّ مخالفة الرسم، وهو أن المقصود بالمخالفة ليس المخالفة المطلقة، بل المخالفة التي لا يحتملها الرسم العثماني بوجهٍ من وجوه الاحتمال. أما ما احتمله الرسم مع ثبوته بقراءة متواترة، فلا يُردّ بحال. يقول ابن الجزري: «قد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقا، ويوافقه بعضها تقديرا، نحو ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة 4]، فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تخفيفا، كما كتب ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس2]. وقراءة الألف محتملة تقديرا، كما كتب ﴿ مَٰلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران26]، فتكون الألف حذفت اختصارا».[5]

1- أبو عمرو عثمان الداني (ت 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة - الإمارات، ط1، 1428هـ، 2/860.
2- ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/259.
3- وهو النحاس.
4- أبو جعفر النحّاس، إعراب القرآن، 2/207.
5- ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1/11.

ومن الأمثلة أيضا: كلمة (هَٰذَٰنِ) من قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه 63]، حيث اتفقت المصاحف العثمانية على رسم (هَٰذَٰنِ) بدون ألف أو ياء بعد الذال. واختلف القرّاء العشرة في قراءة قوله تعالى: (هَٰذَانِ)، فقرأ الجمهور بإثبات الألف بعد الذال (هذان)، وقرأ أبو عمرو البصري بالياء (هذين).[1]

وقد ردَّ الزجّاج قراءة أبي عمرو (هذين)، مستندا في ذلك إلى مخالفتها خطَّ المصاحف العثمانية المجمع عليه، يقول في ذلك: «فأما قراءة عيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء فلا أجيزها، لأنها خلاف المصحف، وكل ما وجدته إلى موافقة المصحف أقرب لم أجز مخالفته؛ لأن اتباعه سنة، وما عليه أكثر القراء، ولكني أستحسن﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾، بتخفيف (إن)، وفيه إمامان، عاصم والخليل، وموافقة أُبيّ في المعنى، وإن خالفه اللفظ»أ.هـ.[2]

ولا يصح ردُّها؛ لأن قراءة أبي عمرو البصري مما يحتمله رسمُ المصاحف، إذ إن كلمة (هذان) لم تُرسم في جميع المصاحف العثمانية بألفٍ ولا بياء بعد الذال، فكان رسمها محتملا للقراءتين. وقد قرّر العلماء أن من شروط القراءة المقبولة: موافقتها للرسم العثماني ولو احتمالًا، ومن ثمّ فإن قراءة أبي عمرو ثابتةٌ بالنقل، وموافقة للرسم احتمالًا، فلا وجه لردّها.[3]

وموقف الزجاج يخالف موقف الفراء، الذي قَبِلَ القراءات الواردة في الآية؛ لموافقتها مرسوم المصاحف، يقول الفراء: «قوله ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾، قد اختلف فيه القراء، فقال بعضهم: هو لحن. ولكنا نمضي عليه؛ لئلا نخالف الكتاب. حدثنا أبو العباس قال: حدثنا محمد قال: حدثنا الفراء قال: حدثني أبو معاوية الضرير، عن هاشم بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة: أنها سُئلت عن قوله في النساء: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾[النساء 162]، وعن قوله في المائدة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ [المائدة 69]، وعن قوله: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾. قالت: يا ابن أخي هذا كان خطأ

1- لعل من المناسب الإشارة إلى القراءات المتواترة الواردة في (إن هَٰذَٰنِ) بالتفصيل، اختلف القراء العشرة في قراءتها: فقرأ أبو عمرو البصري بتشديد (إنَّ) و(هذين) بالياء مع تخفيف النون. وقرأ ابن كثير بتخفيف النون في (إن) و(هذان) بالألف مع تشديد النون. وقرأ حفص بتخفيف النون في (إن) و(هذان) بالألف. وقرأ بقية العشرة بتشديد النون في (إن) و(هذان) بالألف. ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/ 321.

2- الزجاج، معاني القرآن، 3/364.

3- ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 8/64.

من الكاتب. وقرأ أبو عمرو ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، واحتج أنه بلغه عن بعض أصحاب محمد ﷺ أنه قال: إن في المصحف لحنا وستقيمه العرب. قال الفراء: ولست أشتهي على أن أخالف الكتاب».[1]

1- الفراء، معاني القرآن، 2/183.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي إتمام هذا البحث، والذي كان من أبرز نتائج البحث:

- أبرز البحث الارتباط بين علمي الرسم العثماني، وعلم معاني القرآن وإعرابه، فلا غنى لمن أرد بيان معنى الآية عن النظر في رسم المصحف، سواء كانت المصاحف متفقة فيما بينها على الرسم أم مختلفة.
- يُعَدّ اتفاق المصاحف على رسم الكلمة القرآنية قرينة للترجيح بين الأقوال، وفي تقويم ما يَرِد من توجيهات للآية.
- تباينت مواقف أهل المعاني إزاء قبول القراءة المخالِفة لمرسوم المصاحف العثمانية؛ فذهب فريقٌ إلى إثباتها؛ لثبوتها في النقل، في حين رأى آخرون ردَّها لمخالفتها الرسم الذي اتفقت عليه المصاحف.
- تبين أن كتب معاني القرآن وإعرابه تحكم على القراءة التي خالفت رسم المصحف، إما بزيادة كلمة أو نقصها، أو تبديل كلمة بأخرى، أو تقديم وتأخير بالشذوذ، وتعدها من قبيل تفسير الآية.
- يوصي البحث الباحثين في الدراسات القرآنية بأهمية دراسة علوم الإقراء، كعلم الرسم وعلم عد الآي وغيرها، دراسةً بينية مع العلوم الأخرى؛ للتنبيه على أهميتها، ولتلمس أثرها في توجيه الآيات، وتحديد دورها الدلالي، مما يسهم في تقديم رؤية تكاملية تجمع بين ضبط النص القرآني، وفهم مدلولاته.

فهرس المصادر والمراجع

- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت 215هـ). معاني القرآن. تحقيق: هدى محمود قراعة. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ/1990م.
- الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370هـ). تهذيب اللغة. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- الأندرابي. قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ.
- الأنباري، محمد بن القاسم (ت 271هـ). إيضاح الوقف والابتداء. مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1390هـ.
- الجزائري، طاهر. التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط3، 1412هـ.
- ابن الجزري، محمد بن محمد (ت 833هـ). النشر في القراءات العشر. المطبعة التجارية الكبرى، بيروت.
- الحربي، حسين. قواعد الترجيح عند المفسرين. دار القاسم، السعودية، ط1، 1429هـ/2008م.
- الحلبي، السمين أحمد بن يوسف (ت 756هـ). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد محمد الخراط. دار القلم، دمشق.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ). تاريخ بغداد. تحقيق: مصطفى عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
- الداني، عثمان بن سعيد (ت 444هـ). المقنع في رسم مصاحف الأمصار. تحقيق: محمد قمحاوي. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، د.ت.
- الداني، عثمان بن سعيد. جامع البيان في القراءات السبع. جامعة الشارقة - الإمارات، ط1، 1428هـ/2007م.
- الزجاج، إبراهيم بن السري (ت 311هـ). معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل شلبي. عالم الكتب، ط1، 1408هـ/1988م.

- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد (ت 794هـ). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط1، 1376هـ.
- الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الريان للتراث، القاهرة، ط3، 1407هـ.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت 1367هـ). مناهل العرفان في علوم القرآن. مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط3.
- الصفاقسي، علي بن محمد (ت 1118هـ). غيث النفع في القراءات السبع. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الطيار، مساعد. أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم. دار ابن الجوزي، ط3، 1434هـ.
- الطيار، مساعد. التفسير اللغوي للقرآن الكريم. دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1432هـ.
- الطيار، مساعد بن سليمان. شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية. دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1428هـ.
- العكبري، عبد الله بن الحسين (ت 616هـ). التبيان في إعراب القرآن. عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الفراء، يحيى بن زياد (ت 207هـ). معاني القرآن. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون. الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1.
- فرحات، أحمد حسن. معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة.
- القاسم بن سلام، أبو عبيد (ت 224هـ). فضائل القرآن. دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1415هـ/1995م.
- المارغني، إبراهيم (ت 1349هـ). دليل الحيران على مورد الظمآن. دار الحديث، القاهرة، ط1.
- المثنى، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ). مجاز القرآن. تحقيق: محمد فؤاد سزگين. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ.

- المقدسي، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ). المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز. دار صادر، بيروت، ط1، 1395هـ/1975م.
- المنتجب الهمذاني (ت 643هـ). الفريد في إعراب القرآن المجيد. تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح. دار الزمان، السعودية، ط1، 1427هـ/2006م.
- النحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 338هـ). إعراب القرآن. منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
- النحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 338هـ). معاني القرآن. تحقيق: محمد علي الصابوني. جامعة أم القرى، مكة المكرمة
- النحّاس، أبو جعفر. الناسخ والمنسوخ. تحقيق: محمد عبد السلام محمد. مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1408هـ.

References:

- al-Akhfash, Abu al-Hasan Sa'id ibn Mas'adah (d. 215 AH). Ma'ani al-Qur'an. Edited by Huda Mahmoud Qara'ah. Maktabat al-Khanji, Cairo, 1st ed., 1411 AH / 1990 CE.
- al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad (d. 370 AH). Tahdhib al-Lughah. Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, 1st ed., 2001 CE.
- al-Andarabi. Qira'at al-Qurra' al-Ma'rufin bi-Riwayat al-Ruwat al-Mashhurin. Mu'assasat al-Risalah, Beirut, 2nd ed., 1405 AH.
- al-Anbari, Muhammad ibn al-Qasim (d. 271 AH). Idah al-Waqf wa al-Ibtida'. Majma' al-Lughah al-'Arabiyyah, Damascus, 1st ed., 1390 AH.
- al-Jaza'iri, Tahir. al-Tibyan li-Ba'd al-Mabahith al-Muta'alliqah bi al-Qur'an. Maktab al-Matbu'at al-Islamiyyah, Aleppo, 3rd ed., 1412 AH.
- Ibn al-Jazari, Muhammad ibn Muhammad (d. 833 AH). al-Nashr fi al-Qira'at al-'Ashr. al-Matba'ah al-Tijariyyah al-Kubra, Beirut.
- al-Harbi, Husayn. Qawa'id al-Tarjih 'inda al-Mufassirin. Dar al-Qasim, Saudi Arabia, 1st ed., 1429 AH / 2008 CE.
- al-Halabi, al-Samin Ahmad ibn Yusuf (d. 756 AH). al-Durr al-Masun fi 'Ulum al-Kitab al-Maknun. Edited by Ahmad Muhammad al-Kharrat. Dar al-Qalam, Damascus.
- al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn 'Ali (d. 463 AH). Tarikh Baghdad. Edited by Mustafa 'Aṭa. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1417 AH / 1997 CE.
- al-Dani, 'Uthman ibn Sa'id (d. 444 AH). al-Muqni' fi Rasm Masahif al-Amsar. Edited by Muhammad Qamhawi. Maktabat al-Kulliyyat al-Azhariyyah, Cairo, 1st ed., n.d.
- al-Dani, 'Uthman ibn Sa'id. Jami' al-Bayan fi al-Qira'at al-Sab'. University of Sharjah, UAE, 1st ed., 1428 AH / 2007 CE.
- al-Zajjaj, Ibrahim ibn al-Sari (d. 311 AH). Ma'ani al-Qur'an wa I'rabuhu. Edited by 'Abd al-Jalil Shalabi. 'Alam al-Kutub, 1st ed., 1408 AH / 1988 CE.
- al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad (d. 794 AH). al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an. Edited by Muhammad Abu al-Faḍl Ibrahim. Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah 'Isa al-Babi al-Halabi, 1st ed., 1376 AH.
- al-Zamakhshari, Mahmud ibn 'Umar (d. 538 AH). al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil. Dar al-Rayan li al-Turath, Cairo, 3rd ed., 1407 AH.
- al-Zarqani, Muhammad 'Abd al-'Azim (d. 1367 AH). Manahil al-'Irfan fi 'Ulum

al-Qur'an. Matba'at 'Isa al-Babi al-Halabi, Egypt, 3rd ed.

- al-Saffaqsi, 'Ali ibn Muhammad (d. 1118 AH). Ghayth al-Naf' fi al-Qira'at al-Sab'. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.
- al-Tayyar, Musaid. Anwa' al-Tasnīf al-Muta'alliqah bi Tafsir al-Qur'an al-Karim. Dar Ibn al-Jawzi, 3rd ed., 1434 AH.
- al-Tayyar, Musaid. al-Tafsir al-Lughawi li al-Qur'an al-Karim. Dar Ibn al-Jawzi, Riyadh, 1st ed., 1432 AH.
- al-Tayyar, Musaid ibn Sulayman. Sharh Muqaddimah fi Usul al-Tafsir li Ibn Taymiyyah. Dar Ibn al-Jawzi, Saudi Arabia, 2nd ed., 1428 AH.
- al-'Akbari, 'Abd Allah ibn al-Husayn (d. 616 AH). al-Tibyan fi I'rab al-Qur'an. 'Isa al-Babi al-Halabi & Co.
- al-Farra', Yahya ibn Ziyad (d. 207 AH). Ma'ani al-Qur'an. Edited by Ahmad Yusuf al-Najjati et al. al-Dar al-Misriyyah li al-Ta'lif wa al-Tarjamah, Egypt, 1st ed.
- Farhat, Ahmad Hasan. Mu'ajim Mufradat al-Qur'an (Muwazanat wa Muqtarahat). King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, Madinah.
- al-Qasim ibn Sallam, Abu 'Ubayd (d. 224 AH). Fada'il al-Qur'an. Dar Ibn Kathir, Damascus, 1st ed., 1415 AH / 1995 CE.
- al-Marghani, Ibrahim (d. 1349 AH). Dalil al-Hayran 'ala Mawrid al-Zam'an. Dar al-Hadith, Cairo, 1st ed.
- al-Muthanna, Abu 'Ubaydah Ma'mar ibn al-Muthanna (d. 209 AH). Majaz al-Qur'an. Edited by Muhammad Fu'ad Sezgin. Maktabat al-Khanji, Cairo, 1381 AH.
- al-Maqdisi, Abu Shamah 'Abd al-Rahman ibn Isma'il (d. 665 AH). al-Murshid al-Wajiz ila 'Ulum Tata'allaq bi al-Kitab al-'Aziz. Dar Sader, Beirut, 1st ed., 1395 AH / 1975 CE.
- al-Muntajib al-Hamadhani (d. 643 AH). al-Farid fi I'rab al-Qur'an al-Majid. Edited by Muhammad Nizam al-Din al-Futayh. Dar al-Zaman, Saudi Arabia, 1st ed., 1427 AH / 2006 CE.
- al-Nahhas, Abu Ja'far Ahmad ibn Muhammad (d. 338 AH). I'rab al-Qur'an. Muhammad 'Ali Baydun Publications - Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1421 AH.
- al-Nahhas, Abu Ja'far Ahmad ibn Muhammad (d. 338 AH). Ma'ani al-Qur'an. Edited by Muhammad 'Ali al-Sabuni. Umm al-Qura University, Makkah.
- al-Nahhas, Abu Ja'far. al-Nasikh wa al-Mansukh. Edited by Muhammad 'Abd al-Salam Muhammad. Maktabat al-Falah, Kuwait, 1st ed., 1408 AH.